يؤكد أنه قد حصل على مبايعة أهل الشام له بمنصب الخلافة في أول سنة 40 هـ في مدينة القدس[1].

خامسا: استشهاد الخليفة علي ﷺ ونهاية عصر الخلفاء الراشدين:

إن من غرائب الأقدار أن تأتي نهاية الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ واستشهاده على يد أناس كانوا في يوم من الأيام من أشد الناس اخلاصًا وحبا له، ثم انقلبوا عليه، وخرجوا عن طاعته بسبب اختلافهم معه في قبول التحكيم، فغدوا خوارج يتهمونه بالكفر ويستحلّون قتاله ودمه.

وقد أشارت المصادر إلى أن ثلاثة من الخوارج اجتمعوا بمكة فتذاكروا أمر الناس، وعابوا على ولاتهم، ثم ذكروا أصحابهم الذين قتلوا في معركة النهروان فقرروا الثأر لهم من الرجال الذين عدوهم مسؤولين عما أصابهم، وأصاب المسلمين عامة من كوارث وانقسامات. وكان هؤلاء المسؤولون ثلاثة رجال هم: علي بن أبي طالب ﷺ، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص. فقال عبد الرحمن بن ملجم: أنا لكم بعلي ابن أبي طالب، وقال البرك بن عبد الله: أنا أكفيكم معاوية بن أبي سفيان، وقال عمرو بن بكير أنا أكفيكم عمرو بن العاص[2].

"فتعاهدوا على ذلك، وتعاقدوا لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذي سمي ويتوجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه، فاستعدوا ليلة سبع عشرة من رمضان. ثم توجه كل رجل منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه"[3].

لقد أشارت المصادر إلى أن عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان قد أفلتا من محاولة الاغتيال وذلك لأن عمرو بن العاص لم يحضر صلاة الصبح في ذلك اليوم لوعكة ألمت به، أما معاوية فقد أصيب بجرح خفيف لم يلحق به كبير أذى[4]. وبذلك لم تنجح المؤامرة في تحقيق أهدافها إلاّ بالنسبة لعلي بن أبي طالب ﷺ.

فقد أشير إلى أن ابن ملجم توجه إلى الكوفة، فأخبر أصحابه فيها بمقصده، وكان يزورهم ويزورونه، فزار يوما نفرًا من تميم الرباب، فرأى امرأة منهم يقال لها فطام بنت شجنة، وكانت تعد الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ مسؤولا عن قتل أبيها وأخيها في معركة النهروان، فأعجبته فخطبها، فقالت: لا أتزوجك حتى تسمي لي مهرًا فقال: لا تسأليني شيئا إلاّ أعطيتك، فقالت: ثلاثة آلاف، وقتل علي بن أبي طالب. فقال: والله ما

(1) فلهوزن: تاريخ الدولة العربية، ص 96 – 98.

(2) ابن سعد: الطبقات، ج 3، ص 35 – 36، الطبري: تاريخ، ج 5، ص 143 – 144.

(3) ابن سعد: الطبقات، ج 3، ص 36.

(4) الطبري: تأريخ، ج 5، ص 149.

جاء بي إلى هذا المصر إلاّ قتل علي بن أبي طالب، وقد أتيتك ما سألت. ولقي عبد الرحمن بن ملجم شبيب بن بجرة الأشجعي فأعلمه ما يريد ودعاه إلى أن يكون معه فأجابه إلى ذلك[1].

وقد كمن هذان الشخصان للخليفة علي بن أبي طالب ﷺ قبيل صلاة الصبح، ومعهما سيفاهما في المسجد مقابل السدة التي يخرج منها عادة، فلما حان وقت الصلاة خرج الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ إلى المسجد "فاعترضه الرجلان، فقال بعض من حضر ذلك، فرأيت بريق السيف، وسمعت قائلا يقول: لله الحكم يا علي لا لك! ثم رأيت سيفًا ثانيًا فضربا جميعًا، فأما سيف عبد الرحمن بن ملجم فأصاب جبهته إلى قرنه ووصل إلى دماغه، وأما سيف شبيب فوقع في الطاق، وسمعت عليا ﷺ يقول: لا يفوتنكم الرجل، وشد عليهما الناس من كل جانب، فأما شبيب فأفلت وأخذ عبد الرحمن بن ملجم، فأدخل على علي ﷺ، فقال: أطيبوا طعامه، وألينوا فراشه، فإن أعش فأنا أولى بدمه عفوا وقصاصًا، وإن أمت فالحقوه بي أخاصمه عند رب العالمين"[2].

لقد كانت إصابة الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ إصابة قاتلة، كما ذكر أن سيف عبد الرحمن بن ملجم كان مسموما، لذا لم يمكث الخليفة علي ﷺ بعد إصابته سوى يوم الجمعة وليلة السبت، ثم توفي شهيدًا ليلة الأحد، لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة 40 هـ / 661 م[3]، عن عمر ناهز الثالثة والستين سنة[4].

لقد انتهى بوفاة الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ عصر الخلفاء الراشدين الذين ساروا على سنّة النبي ﷺ في إدارة شؤون المسلمين واجتهدوا في مواجهة التطورات المستجدة، فاتفقوا واختلفوا، وكانوا في الحالتين مأجورين عند الله تعالى على حسن قصدهم، لأنهم بذلوا اقصى ما لديهم من جهد وطاقة في طلب الحق والحقيقة، وقد قرر القرآن الكريم أنه: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾[5].

(1) ابن سعد: الطبقات، ج 3، ص 36.
(2) المصدر نفسه، ج 3، ص 36 – 37.
(3) المصدر نفسه، ج 3، ص 37.
(4) الطبري: تأريخ، ج 5، ص 151 – 152.
(5) سورة البقرة، الآية 286.